وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
قسم علوم القران والتربية الاسلامية

الاساس بين القران ونهج البلاغة

بحث مقدم
الى مجلس كلية التربية/جامعة القادسية وهو جزء من متطلبات نيل –شهادة البكالوريوس- في قسم علوم القران
تقدمت به الطالبة

انفال عبد القاسم ياسين محمد

بإشراف

الدكتور . دريد الشاروط

٢٠١٧م ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم (المائدة/ايه ٥٥)

الاهـــــــــــداء

الى من جرح الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

الى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

الى القلب الكبير (والدي العزيز .

الى رمز الحب وبلسم الشفاء

الى القلب الناصع بالبياض (والدتي الحبيبة)

الى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

الى رياحين حياتي (اخوتي)

الى الذين احبتهم واحبوني (اصدقائي)

شكر وعرفان

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الاخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود الى اعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الامة من جديد، وقبل ان نمضي تقدم اسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة الى الذين حملوا اقدس رساله في الحياة....

(كن عالما... فان لم تستطع فكن متعلما، فان لم تستطع فاحب العلماء، فان لم تستطع فلا تبغضهم)

الى الذين قدموا لنا طريق العلم والمعرفة الى جميع اساتذتنا الافاضل...

واخص بالتقدير والشكر

د. دريد

وكذلك اشكر كل من ساعد على اتمام هذا البحث وقدم يد العون والمساعدة...

المحتويات

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١	الاية القرانية	ب
٢	الاهداء	ج
٣	الشكر وعرفان	د
٤	المحتويات	هـ
٥	المقدمة	١
٦	الفص الاول	٣-٥
٧	المبحث الاول: الاساس لغةً	٤
٨	المبحث الثاني: الاساس اصطلاحاً	٥
٩	الفصل الثاني	٦-١١
١٠	مفهوم الاساس في القران	٧
١١	الفصل الثالث	١٢-٢٤
١٢	مفهوم الاساس في نهج البلاغة	١٣
١٣	الفصل الرابع	٢٥-٢٩
١٤	الاقتباس القراني في نهج البلاغة	٢٦
١٥	المصادر	٢٨

الفصل الاول

الاساس لغة واصطلاح

اولاً/ الاساس لغة:-

عند الرجوع الى مصدر لفظة (الاساس) وهي (اسس) نجد الكثير من المعاني لهذه اللفظة لدى علماء اللغة قد اوردها في معاجمهم، ومعنى هذه اللفظة من ما هو مشترك لدى مختلف العلماء ومنه ما هو غير مشترك اي لم يذكره سوى عالم واحد، وهنا سأذكر المعاني المشتركة ثم اتبعها بذكر المعاني الغير مشتركة.

المعاني المشتركة

١- ورد ان (اسس): (هو اصل البناء فيقال أسُسْت داراً اي بنيت حدودها)[١]

٢- ذُكر ان (اسس): (الاسس مقصور منه، وجمع الأُ سّ أساس مثل عُسّ وعِساس، وجمع الأساس أسس مثل قذال وقُذَل، وجمع الأُس اساس مثل سبب واسباب)[٢]

وبعد ذكر المعاني المشتركة سأورد المعاني الغير مشتركة وهي :-

١- ذكر صاحب العين معنى (للأساس) لم يذكره غيره فقال (الزّاقون اذا رقوا الحيّة ليأخذوها ففرغ أحدهم من رُقيته قال لها : أُسَّ فتخضع وتلين)[٣]

٢- ورد في لسان العرب معنى جديد (للأساس) فقال (الافِساد بين الناس، أَسّ بينهم يَؤُس أَسّاً. ورجلٌ أسّاسُ؛ تمام مفسد)[٤]

١- العين، الخليل الفراهيدي المتوفى (١٧٥هـ)، ٦٩/١.

ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد المتوفى (٣٢١هـ)، ٢٢٢/١.

٢- تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي المتوفي (٣٩٨)، ٧٦٥/٢.

ينظر: لسان العرب، ابن منظور المتوفي (٧١١)، ١٢٢/٤.

٣- العين، ٦٩/١.

٤- لسان العرب، ١٢٢/٤.

ثانياً:- الاساس مصطلحاً.

ذكر اصحاب المعاجم الاصطلاحية وكتب التعريفات للفظة (الأساس) تعاريف مختلفة منها ما هو قائم على اسس اجتماعية ومنها ما هو قائم على اسس فلسفية وغيرها. فقد عرفة الراغب الاصفهاني المتوفي (٤٢٥هـ) قائلاً: (جعل لهُ أساً، وهو قاعدتة النبي يُبتنى عليها، يقال: أُسس وأساس، وجمع الأُسس: اساس[١]، وجمع الإساس أُسس)[٢]

ثم ذكر صاحب مجمع البحرين فخر الدين الطريحي المتوفي (١٠٨٥هـ) تعريفاً اصطلاحاً اخر حيث قال : ((الإساس على فِعال بكسر الفاء جمع أُس بالضم كخفاف جمع خُف. والاس اصل البناء،ومنه ((الأمامة أسس الاسلام النامي اصله))[٣]

ومن خلال المتابعة لكتب التعريفات الاصطلاحية نلحظ ان هذه اللفظة تتطور تبعاً للتطور الزمني، حيث نجد ان المذكور في المعجم الفلسفي يتجلى بوضوح تام حول معنى (الأساس) الذي نتعامل بها في الوقت الحاضر حيث ذُكر فيه أن ((الاساس) هو مصدر وجود الشيء وعلته، كما في قولنا ان العدل اساس الملك فالشيء الذي لا اساس له وهمي غير مشروع، أما الشيء المبني عن اساس ثابت فهو عادل ومتين))[٤]

١- راجح لسان العرب (اسس) ٦/٦.

٢- مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني، ٧٥.

٣- ينظر: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ٤٥/٤.

٤- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٦٣/١.

الفصل الثاني

الموارد القرآنية (للأساس)

اولاً: الآيات.

ثانياً: السياق القرآني.

اولاً: الآيات

وردت لفظة (أسس) في القرآنية الكريمة في سورة التوبه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[١]

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[٢]

١- التوبه/ ١٠٨.

٢- التوبة/١٠٩.

ثانياً: السياق القراني.

لقد فسر اصحاب التفسير لفظة (أسس) التي هي مصدر لفظة (الاساس) حسب ورودها في القران الكريم عدة تفاسير وكلا منهم ذكر رأية فيها وقد فسروها على النحو الأتي:-

حيث بين الشيخ الطبرسي المتوفي (٥٤٨هـ) تفسير لفظة (أسس) حسب ورودها في الايه القرانية فقال: ((أقسم الله سبحانه وتعالى فقال { لَّمَسْجِدُ} أي؛ والله لمسجد، أسس على التقوى أي بني اصله على تقوى الله وطاعته { مِنْ اوَّلِ يوْم} أي منذ اول يوم وضع اساسة {أَحَقَّ أن تقوم فيه} أي اولى بأن تصلي فية واختلفوا في هذا المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن زبير وقيل هو مسجد الرسول (صلى الله علية واله وسلم) عن زيد بن ثابت وابن عامر وابي سعيد الخدري وروى هو عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال؛ هو مسجد هذا وقيل هو كل مسجد بني للاسلام واريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال (فيه) أي في هذا المسجد الذي اساس على التقوى { **رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا**} أي؛ يحبون أن يصلو الله تعالى متطهرين بألغ الطهاره { **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** } أي المتطهرين ثم قرر الله سبحانه وتعالى الفرق بين المسجدين فقال: { **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** }

قد مضى بيانة المراد ان الله تعالى شبه بنياتهم على نار جهنم بالبقاء على جانب نهر هذا صغته فكما ان من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم أي لا يستوي عمل المتقي مع عمل المنافق فإن عمل المؤمن مستقيم مبني على اصل ثابت اما عمل المنافق ليس بثابت وهو واه وساقط))[١]

ثم ذكر صاحب كتاب التفسير الكبير رأياً اخر فقال ((ان معنى قول تعالى { لاتقم فيه} أي نهي جبرئيل عليه السلام الرسول (ص) ان يقوم في المسجد الذي بناه المنافقون لتلك الاغراض الفاسدة عند ذهاب رسول الله الى غزوة تبوك، فقال ابن جريج! فرغوا من اتمام ذلك المسجد يوم الجمعة، فصلوا فيه ذلك اليوم ويوم السبت والاحد وانهار في يوم الاثنين. ثم انه تعالى بين العلة في هذا النهي، وهي ان احد المسجدين لما كان مبنيا على التقوى من اول يوم، وكانت الصلاة في مسجد اخر تمنع من الصلاة في مسجد التقوى، كان من المعلوم بالضرورة ان يمنع من الصلاة في المسجد الثاني.

١- مجمع البيان في تفسير القران، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ١٠٩/٥-١١١.

فإن قيل؛ كون احد المسجدين افضل لا يوجب المنع من اقامة الصلاة في المسجد الثاني.

قلنا: التعليل وقع بمجموع الامرين، اعنى كون مسجد الضرار سببا للمفاسد الاربعة المذكورة، ومسجد التقوى مشتملا على الخيرات الكثيرة. ومن الروافض من يقول بين الله تعالى ان المسجد الذي بني من اول الامر على التقوى احق بالقيام فيه من المسجد الذي لا يكون كذلك.

واختلفوا في ان مسجد التقوى ما هو؟ قيل؛ انه مسجد قباء، وكان عليه السلام يأتية في كل سنة فيصلي فيه، والاكثرون انه مسجد رسول الله (ص) وقال سعيد بن المسيب: المسجد الذي اسس على التقوى مسجد الرسول (ص) فإن قيل: لم قال احق ان تقوم فيه، مع انه لا يجوز قيامة في الاخرى قلنا: المعنى انه لو كان ذلك جائز لكان هذا ولى، للسبب المذكور.

ثم قال تعالى: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }

وفيه مباحث

البحث الاول: انه تعالى رجح مسجد التقوى بأمرين: احدهما انه بنى على التقوى وهو الذي تقدم تفسيره. **والثاني**: ان فيه رجالا يحبون ان يتطهروا، وفي تفسير هذه الطهارة هولان : **الاول**: المراد من التطهر عن الذنوب والمعاصي وان هذا القول متعين لوجوده: **اولها**: ان التطهير عن الذنوب والمعاصي هو المؤثر في القرب من الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه. **والثاني**: انه تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والكفر بالله والتفريق بين المسلمين، فوجب كون هؤلاء بالضر من صفاتهم. وما ذاك الا كونهم مبرئين عن الكفر والمعاصي. **الثالث:** ان طهارة الظاهره ، انما يحصل لها اثر وقدر عند الله لو حصلت طهارة الباطن، اما لو حصلت طهارة الباطن من الكفر والمعاصي ولم تحصل طهارة الظاهرة كان طهارة الباطن لها اثر، فكان طهارة الباطن اولى. **والرابع:** روي صاحب (الكشاف) ان لما نزلت هذه الاية مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء، فاذا الانصار جلوس، فقال: (امؤمنون انتم) فسكت القوم ثم اعادها. فقال عمر يارسول الله انهم مؤمنون وانا معهم، فقال: (اترضون بالقضاء) قالوا نعم. قال: (أتصبرون على البلاء) قالوا نعم. قال: (اتشكرون في الرخاء) قالوا نعم. فقال: (مؤمنون ورب الكعبه) القول الثاني: ان المراد من الطهارة بالماء بعد الحجر هو قول اكثر المفسيرين من اهل الاخبار والقول الثالث: ان محمول على كلا الامرين، اما قوله تعالى: { **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ**} وفيه مباحث.

البحث الاول: البنيان مصدر كالغفران، والمراد ههنا المبنى، واطلاق لفظ المصدر على المفعول مجازا مشهور، يقال هذا ضرب الامير ونج زيد، والمراد مضروب ومنسوب وقال : الواحدي يجوز ان يكون لبيان جمع بنيانة اذ جعلتة اسما، لانهم قالوا بنيانة في الواحد.

البحث الثاني: قرأ نافع وابن عامر { **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ**} على فعل مالم يسم فاعلة وذلك الفاعل هو الباني والمؤسس أي من اسس بنيانه دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانة { **خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**}

خيرا من اسس على قاعدة هي اضعفا القواعد واقلها بقاء وهو الباطل واتفاق الذي مثلة على شفا جرف هار من اودية جهنم كان مشرقا على السقوط.[٢]

وهناك تفسير اخر ذكرة محمد بن عبد الرحمن الشيرازي الشافعي المتوفي (٩٠٥هـ) فقال ((ان معنى قوله تعالى {لا تقم فيه} في ذلك المسجد (ابدا) للصلاة، {المسجد اسس} بني اصله،{ على التقوى} على طاعة الله ورسوله، { من اول يوم} من ايام وجودة، (أَحَقّ ان تَقوم فيه)للصلاة بسماعة من السلف على انه مسجد قباء منهم ابن عباس رضي الله عنهما وبعض العلماء على ان المسجد الذي في جوف المدينة وعليه حديث صحيح وقال بعض العلماء لا منافاة، لأنه اذا كان مسجد قباء قد اسس على التقوى فمسجد المصطفى (ص) من الاحداث والنجاسات هم اهل قباء كان من عادتهم يستعملون الماء في الاستنجاء عقيب الحجر { **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**} يرضى عمن طهر ظاهرة وباطنه، اما قوله تعالى { **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ**} أي: بنيان مبنية، مصدر كالغفران، { **عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ**}أي: على قاعدة محكمة قرية هي التقوى من مخالفته، { **وَرِضْوَانٍ**} وطلب مرضاته،{ **خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ**} بنيان مبنية، { **عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**} جانب واد من اودية جهنم تكاد تسقط على جهنم والشفا الحرف وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار المنصدع الذي اشفى على السقوط قبل حاصله انه على قاعدة ضعيفة رخوة تكاد تسقط { **فَانْهَارَ بِهِ**} أي طاح بنيانه واسقط { **فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} أي الى ما فيه صلاحهم))[٣]

اما تفسير السيد محمد حسين الطباطبائي المتوفي (١٤٠٢هـ) للايات الكريمة الذي كان ارجح من التفاسير السابقة على حسب رأي فقال: ((ان معنى قوله تعالى { **لَا تَقُمْ فِيهِ ابداً**} قد بين الله غرض هذه الطائفة من المنافقين في اتخاذ هذا المسجد وهو الضرار في قولة تعالى { **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**} بغيرهم والكفر والتعريف بين المؤمنين والاصار لمن حارب الله ورسوله، والاغراض المذكورة خاصة ترتبط الى قصة خاصة بعينها، وهي

٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي المتوفي (٦٠٦هـ)، ١٤٧/٦-١٤٩.
٣- جامع البيان في تفسير القران، محمد بن عبد الرحمن الشيرازي الشافعي، ١٠١/٢-١٠٣.

على ما اتفق عليه اهل النقل ان جماعة من بني عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء وسألوا النبي ان يصلي فصلى فيه فحسرهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء ليضربوا به ويفرقوا المؤمنين منه وينتظروا لابي عامر الراهب الذي وعدهم ان يأتيهم بجيش من الروم ليخرجوا النبي (ص) من المدينة، وامرهم ان يستعدوا للقتال معهم وقوله تعالى: { **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**} فمدحة بحسن نية مؤسسية من اول يوم وبني عليه رجحان القيام فيه على القيام مسجد الضرار. والجملة وان لم تغد تعين القيام في مسجد قبا حيث عبر بقول: (احق) غير ان سبق النهي عن القيام في مسجد الضرار يوجب ذلك، وقوله تعالى:{ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا**} تعليل للرجحان السابق وقوله؛ { **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**} متمم للتعليل المذكور وهذا هو الدليل على ان المراد بقوله (لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ) الخ هو مسجد قبا لا مسجد النبي وغيرة ومعنى ذلك: لاتقم أي((صلاة في مسجد الضرار ابدا، اقسم لمسجد قبا الذي هو مسجد اسس على تقوى الله من اول يوم احق واحرى ان تقوم فيه الصلاة وذلك ان فيه رجالا يحبون التطهر من الذنوب والاحداث اما قوله { **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى**} الخ وقوله :{ **أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ**} هما مثلان يمثل بهما بنيان حياة المؤمنين والمنافقين وهو الدين والطريق الذي يجريان عليه فدين المؤمن هو تقوى ودين المنافق مبني على التزلزل والشك))[٤]

٤- الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي، ٩/٣٢٥-٣٢٧.

الفصل الثالث

موارد (الأساس) في نهج البلاغة

اولاً: النصوص.

ثانياً: السياق النصي.

اولاً/ النصوص

وردت لفظة (الاساس) في كتاب نهج البلاغة للامام علي (عليه السلام) في عدة نصوص منها:-

١- خطبه (٢) بعد انصرافة من صفين

((...هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ،...))[١]

٢- في خطبة (١٥٠) وفيها يومي الى ذكر الملاحم

((...وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ،...))[٢]

٣- في خطبة (١٩٢) القاصعة

((...الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ،...))

((...وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ...))

١- خطبة (٢)، نهج البلاغة، ٣٠/١.
٢- خطبة (١٥٠)، نهج البلاغة، ١٩٨/٢.

((. . .ولَو كَانَ الأساسُ المَحمُولُ عَلَيهَا، والأحجارُ المَرفُوعُ بِهَا، بَينَ زُمُرُّدَةٍ خَضرَاءَ، ويَاقُوتَةٍ حَمرَاءَ، ونُورٍ وضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إبلِيسَ عَنِ القُلُوبِ، ولَنَفَى مُعتَلَجَ الرَّيبِ مِنَ النَّاسِ. . .))[٣]

٤- خطبة (١٩٨) يبين على احاطة علم الله بالجزيئات، ثم يحث على التقوى ويبين فضل الاسلام

((. . .ولاَ انهِدَامَ لاِسَاسِهِ، ولاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، ولاَ انقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ، ولاَ انقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، ولاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، ولاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ، ولاَ ضَنكَ لِطُرُقِهِ. . .))

((. . .وثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وينَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، ومَصَابِيحُ شَبَتْ نِيرَانُهَا، ومَنَارٌ اقتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وأَعلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، ومَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا. . .))[٢]

٣- خطبة (١٩٢)، نهج البلاغة، ٢/٢٦٣-٢٦٩.
٤- خطبة (١٩٨)، نهج البلاغة، ٢/٢٨٥-٢٨٦.

ثانياً: السياق النصي.

بعد ان عرفنا تفسير لفظة (الاساس) عند المفسرين سوف نتعرف على مفهوم هذه اللفظة في نهج البلاغة :-

١- قال (عليه السلام): ((...هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ، ...))

ورد في شرح هذا النص عدة اراء ومنها ما ذكرة ابن ابي الحديد المتوفي (٦٥٦هـ) حيث قال : (هم اصول الدين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي جعلهم كمقنب يسير في فلاة، فالغالي منه أي الفارط المتقدم، الذي قد غلا في سيره يرجع الى ذلك المقنب اذا فاق عدواً ومن قد تخلف عن ذلك المقنب فصار تاليا له يلتحق به اذا اشفق من ان يتخطف. ثم ذكر بعد ذلك خصائص حق الولاية؛ الامر فيقولون؛ اراد نص النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عليه وعلى اولادة ونحن نقول: لهم خصائص حق ولاية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) على الخلق.

ثم قال (عليه السلام): (... وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ...) اما الوصية فلا ريب عندنا ان عليا (عليه السلام)كان وصي الرسول (ص) وان خالف في ذلك من هو منسوب عندنا الى العناد، ولسنا نعني بالوصيه النص والخلافة، ولكن امورا اخرى لعلها. اذا لمحت- اشرف واجل.

واما الوراثة فالامامية يحملونها على ميراث المال والخلافة ونحن نحملها على وراثة العلم.[١]

وهنالك رأيا اخر ذكره كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفي (٦٧٩هـ) قائلاً: (وفاء يفيء رجع، والقلوّ تجاوز الحدّ الذي ينبغي الى ما لا ينبغي، والتالي التابع، والولايه الاسم من قولك وليت الامر يحتمل حقاً اخر غير الامامية الا انها المبّادرة الى الذهن من اللفظ هيهنا وبالله التوفيق والعصمة)[٢]

١- شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، ٨٨/١.

٢- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ٣٠٥/١-٣٠٦.

وهنالك شرحا جديداً لهذا النص ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حيث قال : (ان معنى هم اساس الدين وعماد اليقين. نعم فقد نزل الوصي في بيتهم وتربوا في احضانه وما عندهم من علوم ومعارف انما اخذوها عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولما كانت العلوم والاسرار الالهيه مودعة لديهم فهم ائمة الايمان ودعاة اليقين ثم يخلص الامام علي (عليه السلام) الى هذه النتيجة.(اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي) وكيف لا يكونوا كذلك وهم صراط المستقيم والامه الوسطى وعندهم المعارف الالهيه الحقة والقائد الاسلامية الاصيلة البعيدة عن كل افراط وتفريط.

ثم يقول (عليه السلام): ((ولهم خصائص حق الولايه)) وتصدر الجملة بلهم تغير اقتصار هذه المزية عليهم. وكيف لا يكونوا اصلح من الجميع وهم دعائم الدين واركان اليقين الذين يمثلون الاسلام الاصيل الذي لا يعرف الافراط والتفريط وهم النعمة الجاريه على افراد الامة الى يوم القيامة ولذلك.

قال (عليه السلام): (وفيهم الوصية والوراثة)

نستنتج مما سبق ان وصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بهم واستخلافهم من بعده انما تستند لما مر معنا سابقا لا على اساس القرابة والنسب.

ولايخفى ان المراد بالوصية والوراثة هنا الخلافة والنبوة، بل حتى لو افترضنا ان الوراثة هنا هي وراثة علوم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كما ذهب الى ذلك البعض-فان الامر سيعود بالتالي الى جدراتهم باحراز هذا المقام. لان خليفة النبي وامام الخلق لابد ان يكون وارثا لعلوم النبي (صلى الله عليه واله وسلم). وان خليفته في وصية: فوراثة الاموال- كما نعلم- ليست بذات قيمة والوصية في الامور الشخصية والاعتيادية لا تحضى باي اهمية، ولا شك ان اولئك الذين سعوا جاهدين لتفسير الوصية والوراثة بمثل هذه المعاني انما يكشفون عن مدى تعصبهم اسناهم الى العناد والافكار المسبقة.

فليس هنالك من مسأله مهمه تنسجم وقوله عليه السلام؛ (اساس الدين وعماد اليقين وخصائص حق الولايه). سوى مسألة خلافة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حيث يتضح مما قيل بشان الوصية والوراثة ان المراد بالحق هنا هو الولايه والخلافة النبي لا تليق سوى بأهل البيت (عليهم السلام) وان محكم من الخلافة محل القطب من الرحى) [٣]

٣- نفحات الولايه، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٢٠٣/١-٢٠٥.

٤- قوله (عليه السلام): ((. . .وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهَا، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. . .))

شرح هذا النص ابن ابي الحديد وقال: (ان الامام علي (عليه السلام) عنى بقوله: (وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهَا) الرص مصدر رَصَصْتُ الشيء أرصّة، أي ألصقت بعصه ببعض.

اما قوله (عليه السلام): (، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ) نقلوا الامر من اهله الى غير اهله ثم ذمهم عليه السلام وقال: (انهم مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ) الغمرة؛ الظلال والجهل. والضارب فيها؛ الداخل المعتقد لها. [٤]

اما كمال الدين البحراني فقد ذكر رأيا اخر في شرح هذا النص فقال: (اشارة الى العدول بأمر الخلافة عنه وعن اهل بيتة الى غيرهم، وصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العداله الى رذيلة الظلم، وعدم مودة اولي القربى رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة، وكذلك (نقل البناء عن موضعة دخول في رذيلة الظلم. ثم وصفهم وصفا اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة: أي انهم مستعدون لفعل كل خطيئة، ومهيئون لها. فهم مظانها، ولفظة المعادن استعارة، وكذلك ابواب كل ضارب في غمرة، واستعار لفظة الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة يثير بها فتنة، واستعان بهم فتحوا له ذلك الباب وساعدوة، وحسنوا له رأيه فكأنهم بذلك ابواب له الى مراده الباطل يدخل منها)[٢]

وكذلك هنالك رأيا ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في بيان مفهوم هذا النص حيث قال: (ثم خاض الامام علي (عليه السلام) بصراحة ابعد بشأن الخلافة وتغيير اساسها فقال (ونقلو البناء عن رص اساسة فبنوه في غير موضعه) رغم ان النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) عين خليفته مراراً صراحة وكناية فقال؛ تمسكوا بالقران والعترة. لكنهم هدّموا هذا البنيان ونقلوه الى موضع هش اخر.

٤-شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٨٧/٩.

٥- شرح نهج البلاغة، كمال الدين البحراني، ٢٠٦/٣.

ثم تطرق الامام علي (عليه السلام) في ختام الخطبه الى صفات العامل الاصلي وراء ذلك التعبير فقال: (مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ) فقد بين الامام (عليه السلام) هذه الصفات لهم ليشير الى انحراف افكارهم واعمالهم من الجذور فهم افراد فاسدون ومفسدون ومقرورية وغافلون وغارقون في الدنيا ومجانبون لدين الحق.[٦]

٦- قال (عليه السلام): (...الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ...)

(...فَالْهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ...)

(...وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةُ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ...)

بين/ رأية ابن ابي الحديد في كتابة لشرح هذه الخطب حيث قال: (العصبية على قسمين عصبية في الله وهي محمودة وعصبية في الباطل وهي مذمومه، وهي التي نهى امير المؤمنين عنها، وكذلك الحمية وجاء في الخبر: (العصبية في الله تورث الجنه والعصبية في الشيطان تورث النار)

(هم اساس الفسوق) اي هم اصل الفسوق (والاحلاس جمع حِلس، وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له، فقيل لكل ملازم امر؛ هو حلس ذلك الامر.

(والترجمان) بفتح التاء: هو الذي يفسر لسانا بلسان غيره، وقد تضم بالتاء. ويروي؛(ونتا في اسماعكم) من نث الحديث اي افشاه.

٦-نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، ٥/ ٤٧٠-٤٧١.

اما قوله (عليه السلام): (ولو كان الاساس)، يقول: لو كانت اساس البيت التي حمل البيت عليها واحجارة النبي رفع بها زمردة وروي؛ (بين زمردة)، (وروي مضارعة الشك) بالضاد المعجمة ومعناه مقارنة الشك ودنّوه من النفس، واصه من مضارعة القِدر اذا حان اداراكها، ومن مضاعة الشمس اذا دنت من للمغيب.

(وَلَتَضى معتلج الريّب)، اي اعتلاجة، اي ولنفي اضطراب الشك في القلوب)[٧]

اما كمال الدين البحراني فقد كان شرحة لهذا النص يتضمن ما يأتي فقال: ((اما قوله عليه السلام: الذي وضع اساس العصبية)). اذ كانت عصبيتة لاصلة كالاساس للخلق يبنى عليه الخلق سائر العصبيات ويقتدى به فيها.

اما قوله: ((ونازع الله رداء الجبرية)) اي بتجبره وتكبره. وقد عرفت وجه الاستعاره في المنازعة في الرداء، وكذلك قوله: ((وادرع لباس التعزز)) لما استعار لفظة الادراع لابليس من جهة اشتمالة وتلبسه بالتعزز رشح بذكر اللباس وكذلك قوله: ((وخلع قناع التذلل)) استعارة للفظ الخلع، وترشيح بلفظة القناع.

وقوله: (...هُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاسُ الْعُقُوقِ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَال، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ...)

ثم عاد (عليه السلام) الى وصف اولئك الكبراء بأوصاف:

الاول: استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء باساسية .

الثاني: لفظ الاحلاس بأعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهرة.

الثالث: كون ابليس اتخذهم مطايا ضلال . فاستعار لهم لفظة المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الظلال لمن اتبعهم واعتمد اقوالهم نيابة عن ابليس، كانوا في ذلك المطايا التي يركبها الناس ويفودها في طريق الظلال.

الرابع: كونهم جندا بهم يصول على الناس، وذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق الى طريقته داعين لهم الى الهلاك الأبد من جهته.

٧- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٨٥/١٣، ١٠٠، ١٠٦.

الخامس: كونهم تراجمة ينطق على السنتهم. ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريد ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا التراجمه له.

وقوله عليه السلام: (وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ).

لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام بين هذه الاحجار المنيرة المضيئة لخفف ذلك مسارعة الشك في الصدور. واراد شك الخلق في صدق الانبياء وعدم صدقهم وشكهم في ان البيت بيتا لله او ليس. فانه على تقدير كون الانبياء عليهم السلام بالحال المشهورة من الفقر والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوي الشك في كونهم رسلا من عند الله وفي كون البيت بيتا له. وعلى تقدير كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة ينتفي ذلك الشك اذ يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من الامور الجاذبة اليهم والداعية الى محبتهم والمسارعة الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيت الله لمناسبتة في كما له ما ينسبة الانبياء الى الله سبحانة من الوصف باكمل طرفي النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس، واستعار لفظ المسارعة هنا للمغالية بين الشك وصدق الانبياء والشك في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الاخر وكذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب لان الايمان بكونه بيتا لله ينبغي حجة والقصد اليه لا يكون عن معاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك وفي وجوب عباره الله بل لعزة البيت وحسن بنيانة وميل النفوس الى شريف جواهرة لكن هذه الامور هي مسارعة الشك ومجاهدة ابليس ومعتلج الريب لا تخفف ولا تنتفي لكونها مرادة من الحكمة الالهية لاعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقية والسعادات الدائمة فلذلك لم يجعل تعالى بنيان بيتة من تلك الاحجار النفيسة.[٨]

اما رأي الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في شرح هذا النص فقال (الواقع ان السبب الرئيسي لتمرد ابليس عمليا على امر الله تعالى هو تعصبة وغرورة الذي افرزه حسابة الخاطيء والذي يستند الى الفخر والانانية حيث لم ير في خلق ادم سوى حيثية التراب الخاطيء ولذلك .

٨- شرح نهج البلاغة، كمال الدين البحراني، ٤/٢١٩-٢٢٠، ٢٤٣، ٢٦٠-٢٦١.

عد نفسه افضل منه بينما اغفل تماما الجانب المهم في وجود ادم إلا وهو الروح الالهية نعم؛ فالعجب والانانية اسوأ حجاب يصد الانسان عن ادراك اوضح الحقائق. وقد التبس الامر على ابليس حتى في تقييمة لافضلية النار على التراب لان التراب هو المصدر الاساس للحياة ونمو النباتات على كل حال فان تعبير الامام (عليه السلام) ابليس بانه عدو الله اشارة الى انه لم يكن عدوا لادم فحسب بل كان عدوا لخالق ادم ومتمردا على اوامرة فقد ارسله اولى لبنات العصبية ومنهج التكبر والاستكبار العمل الذي يعتبر في الواقع محاربة لله تبارك وتعالى ذلك لان العزة والعظمة لا تليق الا بذاته المقدس وجمال عباد الله في تواصفهم فالتكبر والغرور حسب ما ذكر علماء الاخلاق من امهات الرذائل)

اما قوله (عليه السلام): (هُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ) بالنظر الى معنى الفسوق وهو الخروج عن الطاعة والعقوق الذي يطلق على مطلق العصيان، فان المراد بالعبارة السابقة ان جميع المعاصي والمفاسد الاجتماعية انما تنبع من المفسرين والمتكبرين حيث يقوم هؤلاء الافراد باستقطاب الناس وشدهم اليهم كونهم مصداق للعبارة ((الناس على دين مُلوكِهِمْ)).

ثم تحدث الامام (عليه السلام) عن العلاقة القائمة بين هذه الفئة وابليس ومدى ارتباط افكارهم وخططهم فقال: (اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ)

فالواقع انما يمتطي ابليس هذه الفئة بالدرجة الاولى لاظلال الناس واغوائهم.

ثم قال (عليه السلام) بشأن بنيان الكعبة: (وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ)

قطعاً ان فلسفة الحج تهدف الى دفع الانسان الى مقاومة هوى النفس والوساوس الشيطانية، وتصبح هذه المقاومة ضعيفة ان كانت لهذه المناسك مسحة جمالية بينما تصبح مقاومة الوساوس الشيطانية والاهواء النفسية اقوى حين تقام هذه المناسك

بنوع من الصعوبة والمشقة في ذلك الوسط الجاف والبسيط وعلى هذا الاساس تشتد مقاومة عباد الله ويصبح ايمانهم اقوى وارسخ وتنفعهم الاثار التربوية للحج.

والمراد من (مصارعة الشك) مبارزة وساوس الشك والهواجس التي تخطر على قلب المؤمن وهي الوساوس الباطنية، والمراد من (مجاهدة ابليس) وساوسة الخارجية ومفهوم العبارة (مُعْتَلَجَ اَلرّيْبِ) تلاطم امواج الشكوك التي تطفي على المؤمنين في التكاليف الدينية الشاقة، (شك او ريب) وان فسرت بمعنى واحد الا ان بعض ارباب اللغة ذهب الى ان الريب بمعنى الشك والترديد الذي يرجع عنه الغطاء لاحقا، بينما يمكن ان يكون الشك باقيا)[٩]

٩- قولة (عليه السلام): (ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ.فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا . . .)

ولهذا النص شروع متعددة ومنها ما ذكره ابن ابي الحديد فقال؛ (الانفصام؛ الانكسار. والعفاء الدروس والجذ: القطع، والضنك: الضيق. والوعثة؛ كثرة في السهولة توجب صعوبة المشي لان الاقدام تعيث في الارض.والوضح: البياض. والقوج، بفتح العين: فيما ينتصب كالنحلة والرمح، والعوج بكسرها؛ فيما لاينتصب، كالارض والرأي والدّين. والفصل: الالتواء والاعوجاج، ناب اعصل وشجرة عصلتة، سهام عصل. والفج: الطريق الواسع بين الجبلين، بقول: لا وعت فيه، أي ليس طريق الاسلام بوعث،

اما قوله (عليه السلام): (فهو أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا) الاساخ؛ جمع سنخ، وهو الاصل، وأسافها في الارض: ادخلها فيها، وساخت قوائم فرسة في الارض تسوخ وتسيخ: دخلت وغابت والاساس بالمراجع أسس، مثل بسبب وأسبابا وهو اصل البناء (وعززت عيونها) بضم الزاي: كثرت (وشبت نيرانها) اوقدت.[١٠]

٩-نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكرم الشيرازي، ٢٦٩/٧-٢٧٠، ٢٩٥، ٣٢١.

شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٣٣٩/١٠.

اما كمال الدين البحراني فلقد كان له رأيا اخر في شرح هذا النص يختلف عن رأي ابن ابي الحديد فقال: (معنى قول الامام علي (عليه السلام) : ((ولا انفصام بعروته)) أي جعل له بحيث لا ينفصم عروته، ولفظ العروة مستعار لما يتمسك الانسان به منه، ورشح بذكر الانفصام ولما كان المتمسك به ناجيا من الهلاك الاخروي والشرور اللاحق للملل السابقة وكان عدم الانفصام مظنة سلامة المتمسك عن الهلاك تنمى به دوام السلامة. وقوله: (لافك لخلقته)) كناية عن عدم انقهار اهله وجماعته. وقولة (عليه السلام): ((ولاانهدم الاساسية) استعار لفظ الاساس للكتاب والسنة الذين هما اساس الاسلام، ولفظ الانهدام لاضمحلالها.

(وَلا زَوالَ لِدعَائِمِهِ) استعار لفظة الدعائم لعلمائه او للكتاب والسنه وقوانينهما واراد بعدم زوالهما عدم انقراض العلماء او عدم القوانين الشرعية.

((ولا انقلاع شجرتة)) استعار لفظة الشجرة لا صلة واركان وهو كقولة: ولا انهدام لأساسة.

((ولا انقطاع لمدته)) اشارة الى بقائه الى يوم الدين، ولإعفاء الشرائعة)، وشرائعة قوانينة واصوله وهو كقول (لا انقلاع التجرب)، (ولا جذ لفروعة): أي لا ينقطع التفريع عليه. بل كان ذهن سليم فكر في أصوله وهي الكتاب والسنة استخرج منها مالم يستخرجه غيره.

(ولا ضنك لطرقة) وتعني بعدم الضيق عن عدم صعوبة قوانين على اهل التكليف، او لازم الضيق وهو مشقة السالكين به الى الله. وقوله عليه السلام (فهو دعائم) أي فالإسلام دعائم، وذلك اشارة الى تعريف بأجزائه وهي كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر: بني الاسلام على خمس.

وقوله ((أَسَاخَ في الْحَقُ أَسْنَاَخَهَا)) اشارة الى كونة تعالى بناها على اسرار من الحق عميقة لا يهتدي اليها الا احاد الخلق)[11]

وهنالك معنى اخر لمفهوم هذا النص ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فقال: (وقد نضمت اصول الاسلام واركانة من جانب الحكيم بما يبعدها عن التزلزل مهما تقادم الزمان وقد تكهن بمتطلبات كل زمان ومكان في ظل احكامة الثابتة والمتغيرة (بتفسير الموضوعات) وهذه الشمولية هي التي جعلتة خالداً ثم خاض الامام (عليه السلام) بعد فراغة من اثبات خلود الاسلام في بيان سائر صفاتة من قبيل سهولته ووضوحة واستقامته ووضوح قوانين الدين من خلال ثمان عبارات

١١-ينظر: شرح نهج البلاغة، كمال الدين البحراني، ٤٢٣/٣، ٤٢٤.

فقال: (وَلا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلا عِوَجَ لانْتِصَابِهِ، وَلا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلا مَرَارَةَ لِحَلاوَتِهِ.)

فهذه الشريعة التي لاتختزن أي صعوبة امام السالكين الى الله وقوانينها سهلة مستساغة، ولما كان الافتراضات في السهولة قد يؤدي الى الضعف فقد قال في العبارة اللاحقة ((ولا وعوثة لسهولته)) أي ان هذه السهولة واليسر والسماحة للشريعه لاتسير نحو (الافراط قط بل ضمن اطار الاعتدال وتشير العبارة الثالثة الى الحقيقة هي ان وضوح جادة الاسلام دائمي وليس مما يتخلله الظلام وتشير العبارة السادسة ((وَلا وَعَثَ لِفَجِّهِ)) الى ان سطع هذه الجادة محكم وراسخ والسير عليه سهل يسير وليس من قبيل الطرف المليئة بالشراب والرمل.

ثم قال الامام (عليه السلام): (فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسَنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا) وعلى هذا الاساس فقد شبة الاسلام بقصر عظيم الاسس والدعائم وراسخ القوائم والى جانبه الحقول والبساتين والعيون المليئة بالمياه وقد يسر الوصول اليه من خلال ملء طريقة بالمصابيح في الليالي المظلمة.[١٢]

١٢-نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، ٥٢٦/٧-٥٢٨.

الفصل الرابع

الاقتباس القرآني في نهج البلاغة

بعد بيان معنى الاساس وبيان مواردة في القران والنهج فلا بد لنا من بيان قرانية النهج، فالقران الكريم متكامل الجوانب سواء لغة، او بلاغتاً كما انه عالج مشاكل كثيرة في الحياة، وهو لذلك اصح كتاب للناس جميعاً وليس للمسلمين فقط، ولذلك ترى ان هذا الكتاب اصبح مرجعه لاغلب الادباء والمؤلفين وغيرهم، وكان ادل من اتخذه مرجعية هو الامام علي (عليه السلام) في خطبه ورسائله وكتبه (كتاب نهج البلاغة) فكان هذا الكتاب متأثر تأثير عميق في القران الكريم ولكن لابد للمرأ ان يتسائل كيف تأثر الامام بالقران وكيف؛ استقى منه، ومن خلال القراءه الفاحصة والدقيقة للنهج، نلاحظ ان الامام اقتبس الكثير من كلامه من القران الكريم ان لم يكن جميعه، وهذا الاقتباس قد يكون غير مباشر وهنا لابد لنا من بيان معنى الاقتباس.

قد ذكر الاقتباس في اللغة هو مأخوذ من قبس والقبس هو النار والقبس هو شعله من النار، وقيل ان القبس شعله من نار تقتبسها من معظم، واقتباسها بمعنى الاحد منها، والقابس طالب النار، واقتبس منه علماً أي استقد منه.[١]

اما في الاصطلاح، فقد ذكر الكثير من العلماء ومنهم من اضافة الى السرقات الشعرية، حيث ذكر انه يتصل بالسرقات تحاشية انواع وما يهمنا منها هو الاقتباس وهو ان يضمن المتكلم منشودة او متطومة شيئاً من القران او الحديث على وجه لايشعر بأنه منها[٢]

وهنالك تعريف اخر ذكر في كتاب الايضاح: (اما الاقتباس فهو ؛ان يضمن الكلام شيئاً من القران او الحديث، لاعلى انه منه)[٣]

وبعد بيان معنى معنى الاقتباس، لابد لنا من بيان انواعه [٤]

١- الاقتباس المباشر: وهو ان يأتي بالنص القرآني مساوقاً لاصله ولا تمارس عليه تعديلات وان كانت فهي طفيفة، تؤثر في شكله الاصلي.

٢- الاقتباس غير المباشر: وفيه تغيب المحيلات الظاهريه النص المرجع بحيث تحتاج الى نظر عميق من الدارس كي يصل الى النص القراني المرجع الذي اثر في النص الجديد.

وهنا يمكن استباط النصوص البلاغية في النهج التي اتخذت القران مرجع لها، وهذا وفقاً لضوابط الاقتباس غير المباشر لان اغلب الخطب تحتاج الى فاحص كي نصل الى النص القراني الذي اخذت منه.

١- ينظر لسان العرب، ج٦/مادة قبس.
٢- ينظر: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، ١٣٧-١٤٠.
٣- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القروينى، ٢١٢.
٤- مجلة العميد، المجلد الرابع، العدد السادس.

٥- يقول امير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: ((...الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ...)[٥] هنا يستدعي الامام (عليه السلام) مرجعية للنص تكاد تكون قرانية عاملاً بحكم المعمول، فالامام علي(عليه السلام) اقتبس قولة هذا اقتباساً غير مباشر من القول القراني: { اذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ}[٦] فالامام ضمن كلامة هذا القول حيث نرى ان الامام يقول ان ابليس تقصي لاصلهُ والحمية هي العصبية وقد حذر منها القران وهي وصفاً لابليس.

والكفار وان من تعصب فليعلم ان ابليس قد نفخ في اوداجه بغض النظر عن الشيء المتعصب لاجله وابليس قد تعصب لاصلة وتعصبه هذا مذموم. وهذا النوع من التعصب يخرج الانسان عن جادة الصواب ويتمسك بعصبيتة حتى لو كان ذلك نظرة للباطل وانتهاكاً للحرام. ولكن نجد ان القران اخص بالعصبية الكفار، ولكن الامام قال ان ابليس هو اساس العصبية وذلك لان ابليس هو اساس الكفر لانه لولا وسوسته لما كفر احد.

٢-يقول الامام علي عليه السلام: (وهم اساس الفسوق...)[٧]

هذه العبارة التي ذكرها الامام علي جعل في مضمونها نصوص قرانية تحدثت عن الفسوق ولكن تحتاج الى تفحص دقيق للنص لنصل الى مايريده الامام (عليه السلام) من هذه الكلمات فاساس هذه العبارة هو؛ (فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[٨]، (وان كثير من الناس لفاسقون)[٩] من الانقياد الى كل متكبر فاسد لانه اذ كان الاساس فاسد – القائد – ضمن المؤكد ان القوم الذين يعملون تحت امرته فاسدون ايضاً فالفاسد يفعل الحرام برغبته دون تردد لذلك نهى الامام علي عليه السلام من اتباعهم كما ان القران فعل ذلك من قبل وهنا بالتاكيد نجد ان الامام ارجح كلامه هذا الى نص قراني كما ذكرت.

٥-خطبة (١٩٢)، القاصعة، ٢٦٣/٢-٢٦٩.

٦- سورة الفتح، ايه ٢٦.

٧- خطبة (١٩٢)، القاصعة، ٢٦٣/٢-٢٦٩.

٨- سورة ال عمران، ايه ٨٢.

٩- سورة المائده، ايه ٤٩.

المصـــــــادر

١- القران الكريم.

٢- نهج البلاغة، الامام علي (عليه السلام)، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، بيروت-لبنان، مؤسسة المراقد المقدسة العالمية، العراق- النجف الاشرف.

٣- التفسير الكبير، الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) اعداد مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي، المجلد السادس بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٨هـ) الجزء الثاني طبعة جديدة فنية ومهمه ومتريده بفهرس القبائي للمواد، مكتب التحقيق بدار احياء التراث العربي بيروت –لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.

٥- جمهرة اللغة، ابي محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) وضع حواشيه وفهارسه، ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ.

٦- جامع البيان في تفسير القران، محمد ابن عبد الرحمن الشيرازي الشافعي (ت ٩٠٥هـ) تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الجزء الثاني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ .

٧- جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، تدقيق وتوثيق د. يوسف الصميلي سنة ١٩٩٩، الطبعة الاولى.

٨- شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد، دار الكتاب العربي بغداد- شارع المتنبي، حقوق الطبع محفوظة، الطبعة الاولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٩- شرح نهج البلاغة، كمال الدين الحيدري (ت ٦٧٩هـ) منشورات دار الثقلين، بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠- العين، الخليل الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) تحقيق د. عبد الحميد هنداوي المدرس بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١١- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) حققه عامر احمد حيدر، راجعة عبد المنعم خليل ابراهيم منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

١٢- مجمع البيان في تفسير القران، الشيخ الطبرسي الجزء الخامس، دار المعرفة للطباعة والنشر، جميع الحقوق محفوظة للناشر، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٣- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) تحقيق السيد احمد الحسيد، الجزء الرابع عنيت بنشره المكتبة المرتضوية لأحياء الاثار الجعفرية به.

١٤- مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ- ١٣٨٣.

١٥- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الناشر ذوي القربى الطبعة الاولى، تاريخ الطبع ١٣٨٥.

١٦- الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠هـ) تحقيق الشيخ اياد باقر سلمان قدم له السيد كمال الدين الحيدري، الجزء التاسع، الناشر دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٧- نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي، اعداد عبد الرحيم الحمداني، الطبعة الاولى، الناشر مدرسة الامام علي (عليه السلام).

١٨- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني.

١٩- العميد مجلة فصلية محكمة تعنى بالأبحاث الانسانية تصدر عن العتبة العباسية المقدسة مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المجلد الرابع العدد السادس السنه الثانية ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.